



المسؤولية التربوية وبناء الأسرة بين مطرقة القصور وسندان المخاطر والتحديات

Educational responsibility and family building between the hammer of failure and the anvil of risks and challenges

بروفيسور/ أبكر عبد البنات آدم

مدير جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم الأسبق
والأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات الأفروآسيوية- السودان

Prof:Abaker Abdelbanat Adam

Former Vice chancellor of the University of the Holy Quran and Tassel of
Sciences

Assistant Secretary General of the Association of Afro-Asian Universities –
Sudan



مستخلص

تناولت الدراسة المسؤولية التربوية وبناء الأسرة لما للأسرة من الدور الكبير في عملية التنشئة الاجتماعية؛ وما يترتب على ذلك من تبعات تلقي بظلالها على المجتمع. وفي ضوء ما يشهده المجتمع الأسري من تحديات تقف حائلاً أمام التربية السوية لأفرادها على النحو الذي يرتضيه المجتمع، فقد هدفت الدراسة إلى تأكيد دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية في ضوء تحديات المجتمع المعاصر، وتحديد أهم العوامل المؤثرة عليها، وكذلك معرفة الدعائم المساندة للأسرة في تحقيق دورها الفاعل في عملية التنشئة الاجتماعية، هذا بالإضافة إلى تحليل أهم التحديات المجتمعية المؤثرة على دور الأسرة في عملية التنشئة. وقد توصلت الدراسة إلى تحديد المتطلبات اللازمة لتفعيل دور الأسرة في عملية التنشئة، والتي تمثلت في استغلال الجوانب الايجابية في مواجهة المشكلات، وإعلاء القيم الأخلاقية في بناء الأسرة، والتمسك بالتربية الدينية الرشيدة التي تسعى إلى إيقاظ العقل الجمعي في المحافظة على كينونة المجتمع، والإدراك أن بناء الأسرة تكمن في بناء المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الأسرة- المسؤولية الاجتماعية- التربية- التحديات- المخاطر- القيم الروحية.

Abstract

The study dealt with the educational responsibility and building the family because of the great role of the family in the process of socialization. And the consequences of that cast a shadow on society. In light of the challenges the family community is witnessing that stand in the way of the proper education of its members as accepted by the community, the study aimed to confirm the role of the family in socialization in light of the challenges of contemporary society, and to identify the most important factors influencing it, as well as to know the supportive pillars of the family in achieving its role The actor in the process of socialization, in addition to analyzing the most important societal challenges affecting

the role of the family in the process of upbringing. The study determined the necessary requirements to activate the role of the family in the upbringing process, which was represented in exploiting the positive aspects in facing problems, upholding moral values in building the family, adhering to rational religious education that seeks to awaken the collective mind in preserving the entity of society, and realizing that building the family is the building block of society.

Keywords: family - social responsibility - education - challenges - risks - spiritual values.

مقدمة

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية في تكوين المجتمع ونشأته، فهي الوحدة التي على أساسها تبنى المسؤولية التربوية المركبة من مجموعة من الوظائف والخصائص ذات السمة البيولوجية كمؤسسة اجتماعية؛ فقد تكمن فاعلية هذه المؤسسة الاجتماعية في استقرار وتماسك الأسرة منذ يومها الأول من تكوينها. فالأسرة التي تتكون من الزوجين الشرعيين كفيلة في أن يتحمل المسؤولية التربوية لأنها تمثل النواة الصالحة في تكوين تلك المؤسسة العريقة، والتي تنداح بسماواتها في المجتمع العريض.

فالأسرة التي تقوم على أسس راسخة كثيراً ما تكون محافظة ومنتجة يستطيع أن يقوم بوظائفها عبر تكوين بين اجتماعية واقتصادية خالية من التحديات الماثلة خاصة ونحن في عصر الانفتاح والعولمة. وبما أن الأسرة كانت قديماً تعتمد على نمط معيشي معين يضمن حاجاتها البيولوجية والأمنية؛ إلا أنها اليوم أكثر عرضة لكثير من التحديات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية الأمر الذي دفعها للخروج من مسؤوليتها التربوية في التنشئة الاجتماعية. ومع انتشار ثقافة الحداثة وتطور الحياة صارت احتياجات ومتطلبات الأسرة تكبر شيئاً فشيئاً، فلم يعد بمقدور الأسرة بمفهومها الواسع تلبية كل تلك المتطلبات المتعددة والكثيرة، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في بداية ظهور تحديات تغريبية واستلابية أدت فيما بعد إلى تفكك البنية العقائدية للأسرة، مما مهد لبداية ظهور ما يُسمى بالأسرة التكنولوجية أو النووية التي غاياتها تلبية حاجيات أفرادها المادية دون الروحية بكفاءة تعتمد على الجانب الإلكتروني في التربية والتعليم.

مشكلة الدراسة: بالرغم من الأهمية الكونية لمكانة الأسرة في تحمل مسؤوليتها التربوية، إلا أن هنالك تحديات جمة تواجه هذه المؤسسة الاجتماعية في القيام بواجبها اتجاه أفرادها منها تحديات اقتصادية واجتماعية وثقافية، ومنها فكرية وسياسية.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في تأكيد أهمية الأسرة في تكوين الخلية التي على أساسها تبنى المجتمع السليم والمعافى من تحديات تعوق مسيرتها في تحمل المسؤولية التربوية من حيث الإعداد والتكوين والتنظيم والمراقبة. **أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. الكشف عن مكانة الأسرة في الإسلام.
 2. الإلمام عن دور الأسرة في تحمل المسؤولية التربوية والاجتماعية.
 3. شرح المفاهيم التي تحمل دلالات المسؤولية التربوية كالتفهم الأخلاقية والسلوكية، ودور بناء هذه القيم في المحيط الأسرى لتكوين مجتمع خالٍ من براثن التغريب والاستلاب الفكري.
 4. محاولة معرفة التحديات التي تواجه بناء الأسرة في المحيط الأبوي والمجتمعي.
- منهج الدراسة:** استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، وأحياناً الاستنباطي لمعرفة أهمية المسؤولية التربوية التي تقوم بها الأسرة في بناء التنشئة الاجتماعية.

المبحث الأول: الأسرة لغة واصطلاحاً

لغة: مشتقة في الأصل من الأسر، والأسر في اللغة يعني القيد والربط. وجاء في معجم مقاييس اللغة الأسرة: يقصد بها أهل الرجل وعشيرته، فهي الجماعة التي يربطها أمر مشترك. وجاء في لسان العرب لابن منظور: الأسرة: الدرع الحصينة، وأسر الرجل أي عشيرته ورهطه. وجاء في تاج العروس: "الأسرة، بالضم: الدرع الحصينة. أي أقارب الرجل من قبل أبيه. وقال الشيخ طنطاوي: "إن كلمة الأسرة لغة مأخوذة من الأسر بمعنى الشد والقوة والتجمع والاتحاد. ويقال: شد الله تعالى أسر فلان أي قواه وأحكم خلقه، وهياً له الأعوان الذين يؤيدونه وينصرونه. ويقال: جاء الطلاب إلي دور العلم بأسرهم بمعنى جاءوا جميعاً دون أن يتخلف منهم أحد، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنْ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ (الإنسان:28)، أي نحن خلقنا الناس جميعاً بقدرتنا ونحن الذين قوينا وأحكمنا خلقهم، بأن منحناهم العقل والسمع والبصر، وربطنا بين أعضاء أجسامهم ربطاً متقناً قوياً (القرطبي 1373هـ: 321).

أما اصطلاحاً: تطلق الأسرة في الاصطلاح على رابطة الزواج التي يصحبها ذرية، وهي رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفال، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا في معيشة واحدة. وعرفها الشيخ طنطاوي بأنها: "تطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك بين أفرادها، سواء أكان هذا الأمر يتعلق بصلة الرحم بينهم، أم بصلة المصاهرة، بل هي مجموعة المسؤوليات والالتزامات التي ينهض بها الفرد نحو المجتمع مقابل ما يحصل عليه الفرد من مكاسب وامتيازات.

المبحث الثاني: مفهوم الأسرة

الأسرة هي أساس في بناء المجتمع، فهي الوعاء التربوي والثقافي الأول للأبناء، وهي البيئة الأولى للأطفال، والحجر الأساس للمجتمع، وتتكون الأسرة من مجموعة من الأشخاص الذين تربطهم روابط الرحم والقربة، وهي قوة تماسك المجتمع، ولما لها من دور فعال في بناء المجتمع السوي المتكامل والمترابط الذي تسوده المحبة والمودة والالفة والتعاون والوحدة الوطنية والأمن المجتمعي، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: 22). ولهذا أبدى الإسلام عناية خاصة بالأسرة، فوضع لها آداباً وفقهاً متكاملًا في كل جوانبها النفسية والسلوكية . لذلك فإن نشأة فقه الأسرة الغرض منها تنظيم هذه المؤسسة الاجتماعية بشكل يحدد أهدافها، فهو فقه واقعي يراعي فيه سمات الطبيعة البشرية والفوارق الجسدية والنفسية بين الجنسين في تكوين تلك الخلية، كما يراعي الحاجات الفطرية لكلا الجنسين، فلا يبذلها ولا يعطلها ولا يحملها ما لا تطيق، ويتمثل تلك الدقة في معرفة الجوانب السيكولوجية للجانبين مع مراعاة جانب الاستعداد النفسي والسلوكي. كل هذه المعطيات يجعل بناء العلاقات الأسرية تقوم على سكنٍ للروح وطمأنينةٍ للقلب وراحةٍ للجسد، وسترٍ واحسانٍ للفرج، وتهذيب النفس للحيلولة دون التعرض لنوازع وشهوات النفس، فالتمسك بغير تلك العلاقات يحررها من نزعات المطامع والرغبات الزائلة، وبالتالي تفقد الأسرة وظيفتها وهويتها وتتجرف نحو ملذات الحياة، وهنا تتحرف عن مسارها الصحيح، ويتعرض لتحديات الحداثة.

جاء الإسلام فوضع قواعدَ وسننَ قوانينَ تنظم تكوين الأسرة ، لما للأسرة من مكانة عظيمة تساعد في بناء المجتمع المسلم، وفي تكوين الأمة، فالتعاليم الإسلامية وضعت الأسس السليمة لحل المشكلات التي تعترض بناءها، وهذا ما لا توجد في أي قانون من القوانين الوضعية المستحدثة، بل تكاد لا توجد حتى في الأديان الإلهية الأخرى كاليهودية والنصرانية والأديان التقليدية، لأن الإسلام دين شامل يدعو إلى تهذيب النفس البشرية وتركيتها في كل ميادين الحياة المختلفة، لذا كان من البديهي أن يكون له قصبُ السبق في الحديث عن الأسرة وتكوينها ودعائها والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها . لذلك فإن اهتمام الإسلام بهذا الجانب كان سبباً رئيسياً في نهضة المسلمين واجتيازهم لأصعب التحديات التي واجهتهم في تاريخهم العريق . وهذا ما وصل إليه المبشرون والمستشرقون بعد دراسة متأنية لتاريخ المسلمين وأسباب نهضتهم، وعلل تخلفهم . وقد بذلوا جهوداً كبيرةً لتتحية المسلمين عن الجانب الأسري وتحويلهم من هدف ديني يعتقدونه المسلمون، ويعملون على تهذيبه وتركيبته، إلى جانب دنيوي يتلهون وراء الحضارة الغربية وملذاتها. وعلي أساس الفصل بين سلطة الكنيسة والسلطة الحاكمة عرّفت الحكومات الغربية الدين بأنه التوجيه المادي للأفراد، أما الدولة فقصودوا بها

تنظيم العلاقات بين الأفراد فقط، ويدعون في ذلك بأنهم استعانوا في هذا الصدد بموقف المسيح في رسالته إلي بني إسرائيل، وهي رسالة المحبة الذي قال فيه: "المحبة بين ذوي القربى" (متى 12/17)، غير أن هذه الرسالة تحمل الدعوة إلى إعادة الصفاء بين النفوس التي مزقتها روح الحقد والاضطهاد، وبهذا كان الدين في تصور الغربيين مشتقاً من الرسالة التي جاء بها المسيح (البشارة). وبناءً على ذلك قرر الغربيون المسيحيون أنه يجب لتحديد أي دين سابق على المسيحية، أو لاحق لها أن تؤخذ في مفهومه خصوصية المسيحية وهي الوقوف عند حد الروحية، وبهذا المفهوم يخرج الإسلام عن طبيعة الدين في زعمهم، لأنه يعمل على تنظيم العلاقات الأسرية وفق الأحكام الشرعية، لذا بذل اليهود جهداً ملحوظاً ليطمسوا الهوية الإسلامية التي تحرم بناء الأسرة وفق العادات والتقاليد. ولا شك أنهم نجحوا في زلزلة كيان الأسرة المسلمة فأصبحت تشبه إلى حد كبير الأسرة في المجتمع الغربي في تمزقه وتفككه وشروده في بعض المجتمعات حيث عانت المرأة في المجتمع العربي من ويلات الثقافة الغربية. ولكي يعود المجتمع المسلم إلي هويته الإسلامية وذاتيته الدينية، لا بد من البدء بالأسرة التي هي مكون من مكونات المجتمع المسلم، وقد أجمع المصلحون والمربون أن داء الأمة اليوم يكمن في غياب القيم الأخلاقية السليمة وانزلاقها إلى التشبه بالغربي الأوروبي. وعلى ذات النسق يتسع نطاق التنشئة الاجتماعية بدءاً من آداب تكوين الأسرة إلى الاتجاهات الدينية إلى تحقق معاني الاقتصاد والادخار وأساليبه، وكيفية التعامل مع الأب والأم والأخوة، إلى مجتمع الأقارب والمعلمين والأصدقاء. وهنا تتعدد عناصر التنشئة الاجتماعية وتتفاوت في بساطتها وتعقيدها، فالطفل يكتسب من الرفاق الأساليب الاجتماعية؛ وبعض معايير النجاح، فعملية التطبيع الاجتماعي تختلف من حيث بساطتها وتعقيدها من مجتمع إلى آخر، فكل مجتمع يختلف قابلية نموه التاريخي وأنماطه الثقافية العامة، ومشكلاته وحاجاته، ففي المجتمعات البسيطة تتحكم العادات والتقاليد في عملية التطبيع الاجتماعي، أما في المجتمعات الغربية فإن عملية تكوين الأسرة أكثر تعقيداً لأن تكوين العلاقات الأسرية مرتبطة بالعادات والتقاليد المحلية أكثر من تعاليم المسيحية. أما في الإسلام فالمقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية، والشعور الإيماني العميق، ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر من حسن التعامل، والأدب والالتزان والعقل الناضج، والتصرف الحكيم... وهذه المسؤولية في التنشئة من أهم المسؤوليات لدى الآباء والأمهات، بل هي حصيلة التربية الإيمانية، والخُلقية والنفسية، لكونها إحدى الظواهر السلوكية والوجدانية التي تساعد في التربية السوية، وفي أداء الحقوق والواجبات، والتزام الآداب والاهتمام بالرقابة الاجتماعية، وحسن التعامل مع الآخرين.

عليه، فإذا اردنا بناء الأسرة السليمة الخالية من العيوب يجب علينا أن نعتمد على الآداب المستمدة من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة التي تواكب جميع المراحل التي تمرُّ بها تكوين وتشكيل الأسرة، فنضع لكلِّ مرحلة قواعدها الكلية والجزئية الشاملة مع تحديد العلاقة بين الجنسين قبل الزواج وبعده، وقبل توسع الأسرة وبعده، أيضاً تحديد العلاقات داخل الأسرة على ضوء الحقوق والواجبات القائمة على التكافل والتراحم والتناصح والسماحة والمودة والاحسان، كذلك وضع الخطط الكفيلة في تحمل مسؤولية التنشئة الاجتماعية، والتي تساعد في بناء واصلاح كيانها في مختلف الأوصدة . وبناءً على ما سبق، فالأسرة أهم خلية يتكون منها المجتمع البشري؛ إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسدت المجتمع كله، وفي كنفها يحفظ النوع الإنساني وينميها، وفيها ينشأ الفرد على الفطرة السليمة التي تمثل الأساس الاجتماعي والذي يسعى على بناء شخصية المجتمع والأمة على السواء، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل:72).

المبحث الثالث: الأصل في بناء الأسرة

ينظر الإسلام إلى الأسرة بمثابة النواة الأولى لبناء المجتمع، وإنها اللبنة الأساسية لبناء الأسرة الصالحة، بل هي الحاضنة الطبيعية للدولة.

ولقد كان المجتمع العربي في الجاهلية يعيش حالة مزرية يستهين بالمرأة ويعتدي على حقوقها، ويغتصب مالها وتُظلم بشتى أنواع المظالم والاستبداد ولم يقف بجانبها أحد يدافع عنها ويعيد لها انسانيتها وكرامتها التي منحها الله تعالى لها، ولم يفكر أحد أن لولا المرأة لأنقرض الجنس البشري على الكرة الأرضية، والذي يمكن تأكيده أن المظاهر السيئة التي كانت تتصف بها المرأة العربية في الجاهلية هي عادات طارئة؛ وليست أصيلة على المجتمع العربي كما يُدعي المستشرقين والمنصرين، فقد اتصفت المرأة قبل الإسلام بمواقفها المشرفة، والدليل على ذلك عندما ترك سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) زوجته هاجر وابنه إسماعيل (عليه السلام) في مكة المكرمة قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:37)، فمنذ تلك اللحظة كانت للمرأة العربية دوراً ايمانياً وجهادياً واجتماعياً. وقد ظلت مكانة المرأة في المجتمع العربي مرموقة بعد نزول القرآن الكريم حيث أعطاها المكانة الرفيعة التي علا بها شأنها ومن هذه الآيات منها ما يلي:

- المرأة على درجة واحدة من الرجل في التكريم والاحلال عند الله تعالى، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (الإسراء:70).
 - قدسية حياة المرأة والرجل على مرتبة واحدة من المكانة، والصون عند الله تعالى، لقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} (المائدة:32).
 - وحدة الأصل فالمرأة منبت البشرية ومنشأ اجيالها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْنَكُمْ رَقِيبًا} (النساء:1). فالأصل في بناء الأسرة هي التربية والتوجيه نحو السلوك القويم.
 - أناط الله تعالى للرجل والمرأة على السواء مهمة تكاثر السلالات البشرية وتعارفها وتعاونها وإقامة الأسرة باعتبارها الوحدة البنائية الأولى والأساس في إقامة المجتمعات البشرية من غير تمايز بينهم على أساس الجنس أو اللون أو العرق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات:13).
 - مسؤولية الحياة وتصريف شؤونها ورعاية مصالح العباد تقع على عاتق الرجل والمرأة سواء بسواء في حفظ الحقوق الواجبات، عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول: " استوصوا بالنساء خيراً"، وقد رغب النبي صلى الله عليه واله وسلم بالإحسان إلى الزوجة والتوسعة عليها في النفقة، حيث قال: " دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك أعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك".
- فالإنسان بفطرته الطبيعية يقابل هذه المسؤولية عن رضا وطوعية بحثاً عن الراحة والسكينة والطمأنينة، والسعي إلى بناء الأسرة وفق مجموعة من المبادئ التي تحكم حركة أعضائها في بناء العلاقات الاجتماعية، والتي تتمثل في الآتي:
- * المودة والرحمة لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم:21). ومن هنا فقد أكد القرآن الكريم نوعية العلاقة التي يجب أن تسود في الأسرة كالمودة والرحمة والتراحم، والعطاء، بعيداً عن التعالي والتسلط والتبعية. وهي رقة في القلب وحساسية

في الضمير تستهدف الرأفة بالآخرين والعطف عليهم، وتهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، ويبعد عن الجريمة ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين، قال عليه الصلاة والسلام: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (أبو داؤود في سننه).

* العدالة والمساواة لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل:97)، فالعدالة هنا في جميع الحقوق والواجبات، فالذكر والأنثى متساويان في قاعدة العمل والجزاء وفي صلتهما بالله، فالمنهج الرباني يراعي الفطرة السليمة في توزيع الأعباء على كل منهما.

* التقوى: فتقوى الله هي منبع الفضائل الاجتماعية كلها، والسبيل الوحيد في اتقاء المفساد والشور والآثام والأشواك.

* الأخوة: هي رابطة تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام.. فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار والرحمة والعفو عند المقدرة، لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات:10)، وقال عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (مسلم بن الحجاج 1400هـ:3218).

* الإيثار: هو خلق نبيل يترتب على تفضيل الإنسان، ويقصد به وجه الله تعالى، ويدل على صدق في الإيمان وصفاء السريرة وطهارة النفس، وهو دعامة كبيرة من دعائم التكامل الاجتماعي، لقوله تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} (البقرة:237). فالخلق العظيم والصفح والتسامح والحلم يدل على إيمان راسخ وأدب رفيع. ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الأولاد اجتماعيًا تعويدهم على الآداب الاجتماعية، عن عائشة رضي الله عنها قال عليه الصلاة والسلام: "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره" (رواه أبو داؤود والترمذي). وقال عليه الصلاة والسلام: "يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه". كذلك من الآداب التي يجب أن نربي أبناءنا عليها في التعامل مع الآخرين: آداب السلام، والاستئذان، والعطاس، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا} (النور:74). وبالقدر الذي تقدمه الأسرة للطفل من مميزات تربوية، فالأب والأم هما صنوان

في إضفاء القدر المناسب لتنمية قدرات ومهارات الطفل في كافة مراحل نموه، فالوراثة والبيئة لهما أبلغ الأثر في تشكيل شخصية الطفل. ومن خلالها تستطيع الأسرة بما لها من رصيد ثقافي ضخم، وما تملكه من قيم تربوية أن تكسب الطفل وتوجهه لاكتساب التراث الإسلامي، ومن أهمها الصدق والأمانة. ولكل أسرة طريقتها الخاصة في تحديد القواعد التربوية وتطبيقها، فبعض الوالدين أقل تشدداً من غيرهم في تعزيز القيم التربوية. فالتربية في مفهومها العام ليست المقياس الذي يميز بين الجيدين أو السيئين، إنما هي سلسلة من الأنظمة والقواعد والأصول تنتقل من جيل إلى جيل. وتشكل القيم الإيمانية والقيم الأخلاقية اللبنة الأساسية في حياة الإنسان، ويقصد بالقيم الإيمانية المبادئ والأحكام والأصول الثابتة التي تحكم عقيدة المسلم، وتعتبر هذه القيم من الثوابت التي لا تتغير مع تغير الزمان والمكان، وهنا يجب على الوالدين أن يربيا طفليهما على تلك القيم الأخلاقية السجية أو العادات الفطرية السوية الحسنة التي ترافق الطفل في أعماله وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين. ولا سبيل إلى أمة مؤمنة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنتشر الخير في بقاع الأرض إلا بأسرة مؤمنة مستقرة، وقد لفت القرآن الكريم أنظار المربيين إلى هذا الجانب الهام، فنراه يتحدث عن علاقة الرجل بزوجته وعلاقة المرأة بزوجها، وعلاقة المرء بأبيه وأمه؛ وأخيه... وقد وضع الإسلام الثوابت الكلية التي من شأنها أن تحل أي مشكلة قد تطرأ على علاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض؛ فقنن المناهج العامة ووضع الأسس الشاملة التي تدعم استقرار الأسرة واندماجها في المجتمع، لقوله الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً} (النساء: 34)، ففي هذه الآية نرى مدى تأصيل القرآن لمبادئ من شأنها أن تعزز استقرار الأسرة؛ وتحدد المرجعية التي ينبغي أن يرجع إليها عندما تحل بها مصائب الدهر... وكل هذه الأمور وغيرها، أصّلتها السورة الكريمة لتحفظ للأسرة المسلمة كل شقاق يؤدي إلى انهيارها؛ وتهدد جانب الهدوء والاستقرار لها. فقد ثبت عن الحسن البصري أنه قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: "إن زوجي لطم وجهي قال: بينكما القصاص" فأنزل الله تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتُوا اللَّهَ وَعَلِّمُوا أَنْتُمْ مَلَاقِهِمْ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (البقرة: 223)، فلو أباح القرآن القصاص من الزوج في كل شيء يعترى الكيان الأسرى ما استقرت الحياة؛ وما هدأت أسرة فجعل المولى عزّ وجلّ للراعي حرية التصرف في كيفية تدبير أمور أسرته لأنه الأدرى بها والقادر على علاجها؛ وقد أوكل إليه فض المنازعات وحل المشكلات؛ فليس من المنطق إذاً

أن يعاقب الرجل على هفوة قد تصدر منه، وهو يقوم بمهامه كراعٍ للأسرة ومسؤولها الأول، فقوامة الرجل ليست قوامة استبداد وتسلط، وليست قوامة قهرٍ وغلبة، إنما هي قوامة مشاورة ومشاركة؛ يقول العلامة بن العربي: "الزوجان مشتركان في الحقوق"، لقوله تعالى {وَالْمُطَلَّاتُ يَنْزِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة:228)، أي بفضل القوامة عليه أن يدفع المهر والنفقة، ويحسن العشرة، ويحببها ويأمرها بطاعة الله؛ ويعلمها شعائر الإسلام من صلاة وصيام؛ وعليها حفظ ماله؛ والإحسان إلى أهله، والالتزام لأمره، وقبول قوله في الطاعات"، ومما سبق يتبين أن هذه الدرجة إنما هي على سبيل الطاعة والولاية والنفقة والرعاية، وهذا كفيل بأن يحفظ للأسرة أمنها واستقرارها. وعندما فهم نفر من الناس أن قوامة الرجل مقرونة بالتسلط والاستبداد من غير وعى تزعزعت مكانة الأسرة؛ وعندما أباحت بعض النساء لأنفسهن الترفع على الزوج وعدم المبالاة بهجره وإعراضه؛ صارت الأسرة كالتقطيع الشارد؛ بعد أن كانا زوجين صارا ندين، وهذا وحده يهدم كيان الأسرة من الأساس ومن ثم ينهار المجتمع بأكمله وتضل الأمة؛ لأن الأسرة هي الركن الأساسي في بناء كل مجتمع أو أمة... وقد حدثنا القرآن الكريم أن الإنسانية كلها من أسرة واحدة أسرة آدم وحواء؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء:1)، ومن سنن الله تعالى في خلقه أن المجتمع الذي تكثر فيه الأسر العاقلة الرشيدة؛ ينشر فيه الخير والأمان والرخاء ومن أجل ذلك عنيت الشريعة الإسلامية بالأسرة؛ ووضعت لها من الأحكام والتشريعات والواجبات والآداب؛ ما يزيد سعادتها وقوة؛ ويقول الإمام الغزالي: "ولكى تنجح الأسرة في أداء رسالتها يجب أن تهذب الطبائع، ويتمرن كل طرف على الإحسان والتعاون مع الطرف الآخر" (الغزالي 1416هـ:1)، فتعاون الزوجين ومعرفة كل منهما ما له وما عليه هو السبيل الوحيد لنجاح الأسرة واستمرارها، ويقول العلامة السيد رشيد رضا عن الأسرة: "الأسرة كلمة جليلة جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق؛ ... وما يجرى عليه عرف الناس؛ وهو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم فهذه الجملة تعطى الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال؛ فإذا هم بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله؛ ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما: "إني لأتزين لامراتي كما تتزين لي"؛ وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها؛ وإنما المراد

أنَّ الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء؛ فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها ؛ إن لم يكن مثله في شخصه؛ فهو مثله في جنسه؛ فهما متماثلان في الحقوق والأعمال؛ كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل؛ أي أنَّ كلاً منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه؛ وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ؛ ويكره ما لا يلائمه وينفر منه؛ فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذة عبداً يستذله ويستخدمه في مصالحه؛ ولا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه. وقال الإمام الغزالي: " هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده" (الغزالي 1989م: 25).

وقد تكرت بعض الروايات التاريخية أن من أهم مظاهر التقدم في الحضارة والمدنية الأوروبية تكريم النساء واحترامهن؛ غير أنها لم تصل الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها لأنها لاتزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها ؛ وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو خمسة عشر قرناً؛ وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالاً؛ ونحن لا نقول أن الدين المسيحي أمرهم بذلك لأننا نعتقد أن تعاليم المسيح لم يصل إليهم كاملاً سالماً من الإضافات والبدع ؛ ومن المعروف أن ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وإنما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الحديثة، فإله سبحانه وتعالى قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لهم عليهن إلا ما ميزهم به من المسؤولية؛ فالواجب على الرجال بمقتضى الكفالة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن؛ ويجعل لهن في النفوس احتراماً يعين على القيام بحقوقهن؛ فالإنسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدباً عالماً بما يجب عليه (رضا 1350هـ: ج2 ص231). فالأخلاق لا تكتسب بالنصائح العابرة، بل بالتهذيب والتدريب المستمر، وبالصبر والجهد نستطيع أن نربي أولادنا ونوفر لهم الوقت، ونحفزهم فيما يتعلق بمستقبلهم، ونجعلهم يحبون الحياة مع تلقينهم الأخطار التي قد تعترض مسيرتهم من دون قطع سبيل التواصل معهم. ويرى الباحث هنالك أمران أساسيان يتعلقان بالتنشئة الصالحة: هو إيمان الأسرة بمبادئ وقيم العقيدة الإسلامية: فالأسرة المسلمة تحمل في نفسها مشاعر العبودية والإذعان لله تعالى، والاهتمام بقيم الثقافة الإسلامية.

لقد حرص الإسلام على أن تقوم الأسرة على أساس التعاون والتكافل الاجتماعي فشرعت أحكام الفقه والميراث والوصية، ودعا الناس على أن يعيشوا في ظلالها حتى تلبى رغبات الزوجين. فالأسرة في نظر الإسلام أسمى من أن تكون مجرد

وسيلة لإنجاب الأبناء فهي خلية اجتماعية يبني عن طريقها المجتمع وما تحققه من القيم الإنسانية الفاضلة. ويرى الباحث أن من أهم وظائف الأسرة إنجاب الأطفال والمحافظة عليهم، ومنح المكانة الاجتماعية للأطفال، والتنشئة الاجتماعية السالمة، والضبط الاجتماعي في السلوك والأخلاق، والتفاعل العميق بين الزوجين وبين الأبناء. أيضاً من وظائف الأسرة المعاصرة منح الحب والحنان لأعضائها، ونمو شخصية الطفل ومعرفة كيفية التعامل مع الوالدين ومع الآخرين، وأن يربي الطفل على ممارسة حياته اليومية بشكل يلبي رغباته وحاجاته الفسيولوجية وفق القواعد التوحيدية، ومعرفة معتقداته الدينية وفق الأحكام الشرعية.

المبحث الرابع: المسؤولية التربوية للأسرة من المنظور الاجتماعي

يرى بعض علماء الاجتماع أن من خصائص الأسرة هي المحافظة على البيئة التربوية والتعليمية فمن خلالها يتحقق التطبيع الاجتماعي للطفل، وبدورها يتم تحقيق الاتجاهات النفسية والتوافق النفسي، وإشباع الحاجات النفسية وتحديد نمط الشخصية، وتعلم السلوك الذي يحقق أهداف المجتمع (الشرقاوي 1982م:77). ويرى الخشاب (1981م:53) أن من أهم خصائص الأسرة من المنظور الاجتماعي، أنها الخلية الأولى للبناء الاجتماعي، بل هي الإطار العام الذي يحدد تصرفات كل فرد من أفرادها. أيضاً هي مصدر تحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الفسيولوجية والاجتماعية. ولا شك أن التآلف والتعاون من عوامل استقرار الأسرة المسلمة إذا كان هذا الحب نابغاً عن عقيدة دينية. فالإنسان بطبيعته محب للجمال، فالصحابه رضوان الله عليهم كانوا يحرصون على الزواج من النساء ذوات الدين والجمال، على اعتبار ذلك سداً منيعاً وحصناً حصيناً ضد الفتن، وقد روى ابن ماجة في سننه عن علقمة بن قيس، قال: كنت مع عبد الله بن مسعود بمنى فخلا به عثمان فجلست قريباً منه؛ فقال له عثمان هل لك أن أزوجك جارية بكرةً تذكرك من نفسك بعض ما قد مضى؟ فلما رأى عبد الله أنه ليس له حاجة سوى هذا أشار إلى بيده، فجئت وهو يقول: لئن قلت ذلك (ابن ماجه 1395هـ: 542/2)، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (رواه البخاري ومسلم).

وبناءً على تلك المعطيات، لقد وضع الإسلام أسساً قويمية أوجب على الإنسان أن يأخذها في الاعتبار حين يقدم على اختيار الزوجة لحديث ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: "تتكح النساء لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاطفر بذات الدين تربت يداك" (رواه البخاري)، وروى بسنده عن جابر بن عبد الله قال: "تزوجت امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال: تزوجت يا جابر؟

قلت نعم قال أباكراً أو ثيباً؟! قلت: ثيباً قال: فهلاً بكاراً تلاعبها؟ قلت: كنّ لي أخوات فخشيت أن تدخل بيني وبينهن قال: فذاك إذن". وروى بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه وإن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (رواه مسلم).

معوقات التنشئة الصالحة: هنالك عدة عوامل تعوق عملية التنشئة الاجتماعية الصالحة للأطفال، منها ما يلي:

* العوامل الاجتماعية: وهي العوامل التي تتألف بعلاقة الطفل مع الأبوين في الأسرة الصغيرة مثل:

- 1- انهيار الجو الأسري بسبب موت الأب أو الأم حيث يعاني الطفل مشكلتين رئيسيتين هما فقدان العطف والحنان، والجانب المادي.
- 2- هجر الوالدين أو الطلاق: إن هذا التصدع يؤدي إلى تدهور جدران الأسرة بأكملها فتصبح الأسرة غير متكافئة ومهددة بالآزمات.
- 3- حبس أحد الوالدين وهذا يؤدي إلى انهيار القيم والمعايير والمبادئ القويمة في المنزل، وبالتالي ينشأ الطفل في بيئة مغايرة تماماً غير مكترث لقيمه الاجتماعية ودوره في المجتمع.
- 4- اضطراب العلاقة بين الوالدين والأولاد: تؤثر هذه العملية في فقدان الحب ونقص الاتصال، وميلهم إلى الاستبداد.
- 5- اضطراب العلاقة بين الإخوة: يحدث ذلك عندما تنعدم الثقة بين الأخوان بسبب التفرقة أو تسلط الكبير على الصغير، أو الذكور على الإناث.
- 6- فقدان مركز الوالد في الأسرة: يلعب الوالد دوراً كبيراً في محيط الأسرة حيث يؤثر مركزه في التربية والتوجيه السليم مما يقوى علاقة الطفل مع والديه والمجتمع من حوله. وقد تتباين أخلاقيات الطفل من بيئة لأخرى حسب العادات والتقاليد والموروثات الثقافية التي تمارس في المجتمع، وهذا ما يعرف بالسلوك الأسري أو المجتمعي، ومن المظاهر الأخلاقية التي تخالف التنشئة الاجتماعية هي:

* عدم أمانة أحد الوالدين: على الوالدين أن يمثلوا القدوة الحسنة أمام أبنائهم، حتى لا يكونوا عبءاً على المجتمع.

* الحالة الاقتصادية: تلعب الحالة الاقتصادية دوراً متعاضداً في نشأة الطفل تبعاً لاختلاف المعايير الاجتماعية بين طبقات المجتمع.

وقد تتنوع المشاكل الاقتصادية عند الأسرة على النحو التالي:

1- الفقر والفاقة: تختلف التنشئة الاجتماعية للأسرة من مجتمع لآخر حسب اختلاف المعايير الاجتماعية فنجد أن الطبقة الفقيرة تسعى دائماً لسد حاجاتها فقط، وأحياناً يكون في حكم المستحيل، وبالتالي نلاحظ أن بعض الأطفال يمارسون بعض المهن الهامشية التي لا تخلو من بعض الهنات والرنات مما يشجع ضعاف النفوس إلى السرقة والنهب، وتناول المخدرات ... وغيرها.

2- البطالة: وهي من أهم العوامل التي قد تؤدي إلى الملل وعدم الاكتراث بمتطلبات الحياة مما يجعل الطفل يسلك سلوكاً مغايراً للمعايير الإجتماعية والقيم الأخلاقية والدينية.

3- عدم توفر السكن: أن الحاجة الأولية التي يتطلبها الطفل هو السكن في مكان مريح، فإذا انعدم السكن يفقد الأمن والعطف وقد يؤدي إلى اضطرابات نفسية.

4- عدم وجود برنامج واضح يشغل الأولاد.

فالأسرة كمجتمع صغير عبارة عن وحدة ديناميكية تهدف إلى نمو الطفل نمواً اجتماعياً وسلوكياً عن طريق التفاعل العائلي الذي يقوم بدور هام في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه، ففي العائلة التي يسودها الود والوفاق والتعاون ينمو في رحابها الطفل نمواً صحيحاً سليماً وتخلق في نفسه الثقة والتماسك والاتزان. فالأسر التي لا يسودها تلك الصفات فإن الطفل لا ينمو بصورة إيجابية وبالتالي تخلق عدم التماسك في الميدان التربوي، وهنا تتعرض الأسرة لكثير من الأزمات التي قد تؤثر على قدرتها في توجيه وتربية الطفل نحو المهارات الإيجابية، والتي تتمثل في تدهور العلاقة الزوجية بين الأبوين أو ضعف قدرتهم على تحمل تبعات الحياة، أو عدم التوافق في إدارة المسؤولية الجماعية للأسرة.

فللأسرة وظائف متعددة منها كالتربية، والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها من الوظائف التي لا غنى عنها، فهي المؤسسة الأولى التي ينشأ فيها الأبناء، وبما أن أساس تكوين الأسرة هو المقدر المادية فإن الوظيفة الاقتصادية تعني: توفير الدعم المادي لأفراد الأسرة لضمان حياة كريمة من خلال الإنفاق لتأمين مستقبل أفرادها من خلال التوفير، فالأسرة في الإسلام يلقي على كاهلها مسؤولية توفير الحاجات الأساسية التي تضمن بقاءها، لذا فعلى رب الأسرة

ممارسة النشاط الاقتصادي، والسعي الجاد في طلب الرزق، والمشي في مناكب الأرض، استجابة لقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ نَلُوءًا فَمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك:15). وقد أجمع العلماء على وجوب نفقة الزوج على زوجته وعلى الأولاد، ولا خلاف بين العلماء على أن النفقة يتحملها الأب وحده دون الأم، ولذا يجب على من له زوجة أن يقوم بحقها الذي أوجبه الله عليه وألزمه به، ولا يجوز له أن يماطل في ذلك، لقوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:233)، وقال تعالى: {لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُئْتِقِنْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} (الطلاق:17). فعندما تكون موارد الفرد شحيحة لا تؤهله في حل ما يسد به حاجته تكون النتيجة مغيبة للأمال، فالموارد الاقتصادية تساعد الفرد على التكيف على ما تقوم به الأسرة نحو تنمية وتقوية نفسية الطفل، فالأسرة والمجتمع يلعبان دوراً كبيراً في حل المشاكل التي تهدد كيان الطفل. وللضغوط النفسية أثارها على الجسد والنفس، فالضغط حالة نفسية يتعرض إليه الطفل عند غياب مقومات الحياة الأساسية كالأكل والمشرب والسكن أو حين يواجه بمطلب ملح فوق حدود استطاعته، وهنا تولد الضغط مجموعة من المثيرات التي قد يؤدي إلى اضطراب وعدم قدرة الطفل في التعامل مع المدركات الداخلية اللاشعورية. ويرى شلتز (Schulz) أن الضغط هو تهديد يدرسه الفرد في ذاته وأمنه وسلامته، أو تهديد لأسلوبه في الحياة. وهو عبارة عن متغيرات نفسية لها أسباب سابقة ونتائج سلوكية مغايرة ويعتبر حالة عاطفية سالبة تتزامن مع عناصر الخوف والفرع والقلق والسخط والانزعاج والغضب والحزن والأسى والإكتئاب. هكذا فإن تعرض الوالدين أو الأسرة لتلك الضغوط قد تؤدي إلى إعاقة أداء الوالدين في توجيه نمو الطفل، وبالتالي يحدث ما يعرف بالضغط النفسي التي هي جزء من مؤثرات الصحة النفسية للطفل، والتي تشمل الوضع الاجتماعي والاقتصادي، فمفهوم الضغط عند الأطفال يقصد بها تدهور الحياة المادية والروحية التي تدخل في محيط العمل المباشر عند حدوث الأزمة (أبو السعود 2000م:104).

ويرى فيولا البيلاوي (1988م:225). أن الضغط هو تلك الحالة التي يتعرض فيها الكائن الحي لظروف أو مطالب تفرض عليه نوعاً من عدم التوافق وتزداد تلك الحالة كلما ازدادت شدة تلك الظروف أو المطالب. كما يرى السمدوني أن الضغوط بشكل عام تشير إلى الموقف الذي تكون المتطلبات غير متكافئة ويستخدم للدلالة على حالتين مختلفتين هما (السمدوني 1990م:115):

* الضغوط الخارجية التي تحيط بالفرد كالبينة الاجتماعية.

* الضغوط الداخلية التي تحدث كردود فعل للضغوط الخارجية مثل الشعور غير السار الذي ينتاب الفرد عندما تحدث مشكلة.

ولعل من أبرز النتائج الإيجابية التي يمكن تحقيقها في التنشئة الاجتماعية السوية، هي:

1. التماسك والتوافق الأسري: من المهم وجود الترابط الروحي والمعنوي الأسري، هذا إلى جانب الترابط المادي والذي يجعل الأفراد على قدر أكبر من التماسك والتقارب في الأسرة الواحدة، وهذا ما يمكنهم من مواجهة التحديات بطريقة فعالة تتسم بروح تحمل المسؤولية الاجتماعية.
2. القدرة على مواجهة الضغوط النفسية: يُقصد بذلك القدرة على مواجهة المؤثرات النفسية، والقدرة على مواجهة المشكلات قبل حدوثها، والتخفيف من وقعها ومن أخطارها المترتبة ببصيرة واعية، وهدوء فائق دون توتر وقلق.
3. التقدير والمحبة: يُقصد به إظهار التقدير والمحبة بين أفراد الأسرة الواحدة الذي من شأنه أن يُخفف من تحديات الحياة، حيث إنّ التقدير التي يتبادلها أفراد الأسرة الواحدة من وقت لآخر من شأنها أن تُعزز قيم المحبة وقبول الآخر، ويتجلى ذلك في استراتيجيات النقد في الأسرة الواحدة التي تقوم على ذكر المحاسن قبل توجيه المساوئ.
4. الالتزام: ويُقصد به أنّ كلّ فرد في الأسرة يعرف جيداً حقوقه وواجباته، ولديه إحساس بالمسؤولية تجاه الأسرة وحقوقها وواجباتها، بحيث يضع الأسرة في المقام الأول، ولكن هذا بالطبع لا يلغي أن يكون للفرد حرية شخصية.
5. التواصل الإيجابي: يلعب التواصل الإيجابي دوراً مهماً في تسيير العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة، حيث يجعل تلك العلاقات تتسم بالمرونة والقوة في مواجهة التحديات الماثلة. وفي خضم هذه البيئة قد ينشأ بعض التناحر بين أفراد الأسرة الواحدة نتيجة لتدهور العلاقة بين أفراد البيت الواحد، لذلك ذهب بعض جمهور الفقهاء للقول كلامنا صواب يحتمل الخطأ تأكيداً منهم على قبول الرأي الآخر واحترامه على الرغم من أن الاختلاف سنة ماضية بأدلة الآيات والأحاديث التي

وردت في هذا الشأن كقوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة:213). ولكن الخلاف المشروع في المسائل الاجتهادية والظنية فقط، لذلك يمكن أن نسوق أفكار الأسرة وفق الشرع المنوط به في حرية التفكير، واستيعاب هذا الخلاف إسهو برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان كثير الاستماع لحجج قريش منذ بداية الدعوة الإسلامية والتي أفضت في النهاية إلى مناقشتهم ومحاورتهم دون تحديات جازمة، وحتى تحقق الأسرة المسلمة أهدافها يجب أن تتعامل مع الأخطاء التي يرتكبها بعض أفرادها بنوع من اليقظة والفتنة، وتحويل تلك الأخطاء إلى قوة إيجابية تسهم في بناء الأسرة المسلمة، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (الأنفال:24). وقد رسم لنا الإسلام الخطوط العريضة للتعامل بين الأبوين والأولاد إذا وقع خطأ بين أحد الطرفين كما وضع عدة مناهج زمانية ومكانية لمعالجة تلك الأخطاء منها ما يلي:

* تسليط الضوء على الصواب وإزالة الغشاوة بين الطرفين، وتوضيح معالم الحق الغائب عن الطرف الآخر، أو إرشاد المخطئ.

* عدم تهويل الخطأ: كثير من الأخطاء التي تحدث في الأسر تقابل بحجم أكبر فتكون ردة فعل الأبوين أكثر شدة، وهذا ما يشكل إشكالية ذهنية ويولد بعض الاضطرابات النفسية.

* التجاهل عن بعض الأخطاء: هو أحد الفنون المهمة في معالجة بعض الأخطاء التي تحدث بين أفراد الأسرة أو الأقارب، والتجاهل في حقيقته هو غض الطرف عن نقيصة معينة بغية عدم إحراج فاعلها وبغية توجيه رسالة له بأن هذا الخطأ غير سليم، وهي نوع من القيم الأخلاقية التي يجب أن تسود بين الأسر الإسلامية وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعامل مع الإعرابي الذي بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أدعوه فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" (رواه البخاري).

* التعريف بالخطأ: وهو ذكر خطأ مشابه، وهذا ما سار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه والمؤمنين جميعاً، فقد كان يعرض دائماً لبعض الأخطاء فيقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا ... وكذا" (رواه الترمذي)

المبحث الخامس: الأهمية التربوية للأسرة في الإسلام

تنبثق أهمية الأسرة في المجتمع من كونها مؤسسة اجتماعية تسعى إلى بقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي، وتتجلى أهمية النظام الأسري في الآتي:

1. تُعتبر الأسرة الخلية الأولى التي يتكوّن منها المجتمع، وهي أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية.
2. تُعتبر نشأة الأسرة وتطورها ثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية، كما تُعتبر الأسرة الإطار العام الذي يُحدّد تصرفات أفرادها فهي التي تُشكّل حياتهم، من خلال ممارسة العادات، والأعراف، والتقاليد، والقيم السلوكية، وعليها تقوم عملية التنشئة الاجتماعية، لذا فإن لكلّ أسرة خصائصها الثقافية الخاصة بها.
3. الأسرة وحدة إحصائية؛ والتي يمكن عبرها اتخاذ الإجراءات الإحصاءات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة والنظام الطبقي وذلك للوقوف على المشكلات التربوية، ومن خلالها تستطيع الجهات المعنية رسم الخطط الاستراتيجية التي تتعلق بالتنمية البشرية في جميع المؤسسات التربوية والتعليمية.
4. تُشكّل الأسرة وسطاً اجتماعياً في تحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية.
5. تعتبر الأسرة ميدان رفيع لتحقيق أهداف التربية التي تتعلق بتكوين الفرد وخلق شخصيته، والمساهمة في ترقية المجتمع وتطويره. ومن الجدير بالذكر، أنّ قيام الأسرة بدورها في الرعاية والتربية باعتبارها المؤسسة التي لا يُمكن الاستغناء عنها في هذه المجالات من شأنه أن يُساهم في إبراز أهميتها العظمى في التنشئة الاجتماعية.
6. تكمن أهمية الأسرة التربوية في أنّها تبني شخصية الطفل اجتماعياً ونفسياً وسلوكياً بحيث يكون قادراً على القيام بدوره في المستقبل، بحيث يُصبح الطفل قادراً على تحمّل المسؤولية، فيتمّ تعزيز قيم ومبادئ الاحترام والتقدير لذاته وللآخرين، فإذا ضعفت الخلية الأولى فالمجتمع هي الأسرة ونقطة ارتكازه، لذا فإن معاناة الأسرة يؤدي إلى معاناة المجتمع وإلى الانحطاط الفكري والثقافي في العلاقات الإنسانية، ومن هنا يغيب التكامل الاجتماعي بين مختلف أوساط المجتمع.

وقد تكمن الدور التربوي للأسرة في تقوية الروابط الأسرية والعائلية بين الأطفال، والتي تكون أساساً لتشكّل العواطف الاجتماعية لدى الأطفال، كما تُهيئ الأسرة الميزان التربوي الصحيح للطفل، من خلال اكتساب مكانة معينة في البيئة المجتمعية، حيث تُعدّ المكانة التي توفّرها الأسرة للطفل بالميلاد والتنشئة محدداً مهماً لمعاملته مع أفراد المجتمع. أيضاً تُعتبر الأسرة الوسيط الأول والموثوق لنقل ثقافة المجتمع إلى الأطفال، وتوريث تلك الثقافة من جيل الآباء إلى جيل الأبناء. كما تُمثّل الأسرة المرجعية الأولى في اكتساب معارف، وقيم الطفل، فهي توفّر له المصادر الأساسية لإشباع

حاجاته الروحية والمادية، وعلى هذا المنوال تُشكّل الأساس الاجتماعي والنفسي الأول للطفل (نبيل 2013م:65). وبالتالي تكون الأسرة مسؤولةً عن تكوين القيم الروحية والوجدانية والخُلقية التي تساعد في تكوين الشخصية القومية في المجتمع عبر غرس العديد من المفاهيم كحب الوطن والانتماء إليه، والتفاعل الاجتماعي، وتكوين العلاقات الاجتماعية. كما تعتبر الأسرة من أكثر المؤسسات انضباطاً إذا تم تكوينها بالصورة المثلى فمن خلال الرقابة والضبط الاجتماعي تسود الاستقامة في المجتمع.

وبالرغم من المكانة السامية للأسرة إلا أنها اليوم فقدت العديد من الوظائف الجوهرية والمتعددة التي تُنشط بها، حيث انتقلت من السعة إلى الضيق، ومن التعدد إلى الانكماش بسبب التطورات الاجتماعية التي طرأت على كثير من المجتمعات المعاصرة. فالوظيفة الإيجابية كانت تضمن للمجتمع أمنه واستمراره، وبما أن الأسرة كانت بمثابة المكان الطبيعي لإنجاب الأطفال بالصورة التي يُقرها الشرائع السماوية، وهو ما يُمكن أن يُسمّى بحفظ النوع الإنساني، إلا أنها فقدت تلك المكانة حيث أصبح الإنجاب دون شرط أو قيد كما جاءت في توصيات بعض المؤتمرات التنصيرية التي تتحدث عن حرية المرأة في بناء العلاقات الزوجية. ومن خلال تلك التوصيات أصبحت مسألة إشباع الحاجات عند النساء مزاجية في كثير من المجتمعات التي سادت فيها العرف مكان الدين. ويتدهور البنية التحتية للأسرة فقد كل فرد في المجتمع الأمن والأمان، كما أنه فقد الشعور بالانتماء إلى جماعة تمنحه الثقة والطمأنينة. وبالرغم من انتقال جزء من وظيفة التربية والتعليم إلى مؤسسات خارجة عن النظام الأسري خاصة في المجتمع الغربي إلا أنها ما زالت للأسرة تأثيرات جمة على التنشئة الاجتماعية، خاصة في تربية النشء وتوجيههم، هذا بالإضافة إلى أثر ثقافة الوالدين وإشرافهما المباشر وتعاونهما مع المؤسسات التربوية والتعليمية التي تسعى في بناء شخصية الأبناء. أما الوظيفة الدينية والأخلاقية قد تعرضت هي الأخرى على كثير من التعقيدات؛ حيث حلت المعتقدات الدينية التقليدية والطقوس والشعائر المختلفة والمبادئ الأخلاقية الوضعية محل الشرائع المقاصيدية (صابر، بدون تاريخ:23). وعلى هذا المنوال تعرضت الوظيفة الثقافية للأسرة إلى نكبات فكرية واستلابية غربية حيث تم استغلال التراث الحضاري الإسلامي لصالح التراث الغربي الأوروبي (التغريب الثقافي) فظلت الأسرة في المجتمع العربي تعاني الأمرين: الأول: التشعب بفكرة الاستلاب التغريب، والثاني التعرض للهجمة الإسلاموفوبية. وعلى غرارها تعرضت الوظيفة النفسية لكثير من التحديات حيث فقدت الأسرة الراحة النفسية والإحساس بالأمن والاستقرار الاجتماعي، كما فقد الأبناء جانب الاحترام والتقدير، وتنمية الثقة بالنفس، وتعزيز قيم محبة الأبوة داخل الأسرة الواحدة، فأصبحوا أشخاصاً موالين للثقافة الغربية، خاصة الأطفال الذين هم في مرحلة المراهقة التي يجب أن يتم فيها إرساء قواعد البناء النفسي والوجداني، وللآباء في هذه المرحلة الأثر الأكبر في

تشكيل تلك النفسية من خلال توجيهاتهم وأساليبهم في التواصل مع أبنائهم، عليه، تُعاني الأسر في الغرب من أن تُكسب أبناءها الشخصية السوية، خاصة عندما يُحاطون بجوّ من عدم الثقة بالنفس نتيجة اختلاطهم بالآخرين من غير أبناء جلدتهم، هذا بالإضافة إلى تأثير المناهج الدراسية في الغرب حول نمو الطفل، بعيداً عن بناء القيم الأخلاقية الفاضلة داخل الأسرة.

أما الوظيفة الإبداعية: يُقصد بذلك قيام الأسرة بتكوين الذوق الجمالي للطفل، وتنمية الحس الإبداعي لديه، فالطفل الذي يعيش في أسرة ذات منزل متناسق نظيف يتعلّم تقدير الجمال، وإدراك التناسق والتناغم، وينشأ مُحبّاً للنظام والترتيب، على خلاف الطفل الذي يعيش في منزل تسوده الفوضى ويعمّه الاضطراب، فمثل هذا المنزل ينعكس في سلوك الطفل حيث يصاب بالقلق والاكتئاب، وفقدان التركيز، وسوء الاتزان (سميرة 2017م:19). وهناك الوظيفة العاطفية: ويُقصد بها التفاعل المتعمّق بين جميع أفراد الأسرة في ظلّ مشاعر العاطفة بين الوالدين والأطفال، خاصة عندما يعملون جميعاً من أجل مصلحة الحياة الأسرية حفاظاً على كيانها ووحدتها، وهذه الوظيفة تُحدّد الملامح الرئيسية المميزة للأسرة الحديثة. كما تمثل وظيفة الحماية أيضاً جانباً أساسياً في حماية الأسرة من الاعتداءات الداخلية والخارجية التي قد تقع بين الفينة والأخرى، ممثلة في العنف النفسي والجسدي، والمادي ومعنوي، هذا إلى جانب حماية الأسرة من الانفصال والانفصام.

المبحث السادس: التحديات التي تواجهها المرأة في الميدان التربوي: تواجه الأسرة في المجتمع العربي والإسلامي اليوم عدة تحديات منها: الهجمة الغربية الموجهة على المرأة المسلمة، وبالرغم من ادعاء الغرب أن فكرة التعددية في الزواج منافياً للحرية والديمقراطية وقبول الآخر، إلا أن الإسلام قد ثبت دعائم التعددية لبناء قواسم مشتركة للتعاون والتآلف وقبول الآخر، ففي الوقت الذي لا يرضى الغرب من الشعوب والحضارات الأخرى أن تبني فكره وثقافته على هدى من أمره، هنالك الكثير من رجال الكنيسة يرتكبون الكثير من المخالفات الجنسية، وعلى إثرها ظهرت ثقافة الشذوذ الجنسي والعنف الجسدي في بناء العلاقات الزوجية، وفي كلِّ تحاول المنظمات المجتمعية الغربية الدفاع عن نفسها وشخصيتها وهويتها بدعوته إلى تبني مفهوم التفكك الأسري، والخروج من دائرة المحبة إلى النفور منها، مما دفع بعض المجتمعات الشعور بالهزيمة النفسية اتجاه التربية الأسرية، وهنا لاحت في الأفق إصاق التهم على رجال الدين الذين لا يلتزمون بقانون الإيمان المسيحي. ومن أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة المعاصرة في المجتمع العربي والإسلامي في وقتنا الحاضر ما يلي :

أولاً التحديات الاجتماعية: تتعرض المرأة المسلمة في وقتنا الحاضر للعديد من التحديات الاجتماعية التي تهدف من خلالها أعداء الإسلام إلى وضع العراقيل التي تساعد في تدمير العلاقات الأسرية، وفي هدم الروابط والقواسم المشتركة التي تجمع بين أفراد الأسرة الواحدة، وفي إطار هذه التحديات أثرت قضايا متنوعة منها ما تتعلق بتشويه العلاقة بين الزوجين من خلال تقديم مفاهيم شاذة حول قوامه الرجل، ووضع الشبهات حول حقه في تعدد الزوجات، وفي حق تعليم المرأة وسفرها من غير الولي إلى غير ذلك من القضايا التي تقوم عليها بناء العلاقات الاجتماعية، فالمرأة داخل الأسرة والمجتمع كثيراً ما تسعى إلى المحافظة على صلة الأرحام وفي تحمل مسؤوليتها التربوية والتعليمية للأبناء (عمر زهير، 2022م:7). ومن أهم التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة، منها ما يلي:

1. الاعتماد على الأساليب التقليدية في بناء العلاقات الزوجية: وهي طريقة تقليدية في التربية يسيطر فيها الوالدين على شخصيه الطفل بفرض أوامر وقواعد غير قابله للنقاش، كما أنهم يبالغون في التشديد على أبنائهم بغرض ضبط سلوكهم. وهذا الأسلوب من التربية يجعل الأبناء يفقدون ثقتهم بأنفسهم، وعلى منوالها تظهر الفجوة بين الآباء والأبناء؛ وكثيراً ما تتعمق هذه المشكلة كلما تقدم الأبناء في السن، ومن خلالها يولد لهم رغبة في التخلص من سيطرة الوالدين حتى يستطيعوا التفرد بشخصياتهم بعيداً عن كل التوجيهات والأوامر.

2. التساهل في بناء الأسرة: يقصد بذلك تغييب الحدود والضوابط الشرعية في بناء العلاقات الأسرية، وهذا الأسلوب يؤثر في تعزيز مكانة التربية عند الأبناء بأن يصبح الطفل غير طائع لوالديه، وقد يكون متمرداً في كثير من الأحيان، بل يميل إلى الاندفاع خاصة عندما يصبح في سن المراهقة، وهذا ما يجعله عرضة لتناول المخدرات وغيرها.

3. سهولة بناء الأسرة: من أكبر التحديات التي تهدد استقرار واستمرار بقاء الأسرة اليوم هو سهولة إنشاء علاقات عاطفية خارج مؤسسة الزواج، فلقد أصبح من السهل اليوم على كل من الزوج أو الزوجة أن يكون له علاقة عاطفية خارج العلاقة الزوجية عند استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما يثير الخوف الشديد على التماسك الأسري خاصة عندما أصبح الجميع يعتمدون على تقنيات التواصل الحديثة، وبفعل هذه التقنيات صار بناء علاقات عاطفية خارج إطار المؤسسة الزوجية أمراً سهلاً وسريعاً وجذاباً، الأمر الذي يهدد العفة داخل الأسرة الواحدة، وي طرح مشكلة انعدام الثقة، والشك بين أعمدة الأسرة "الزوج والزوجة". ومثل هذه التحديات الاجتماعية يؤخر من قابلية الرجل والمرأة من إقامة العلاقات الزوجية نسبة للفرص المتاحة أمام الجنسين من التلاعب واللهو.

3. التربية غير المتوازنة: وفي هذه يتم دمج أفضل ما في التربية المتسلطة والتربية المتساهلة، وهي طريقة تركز على الطفل ونضوجه وتطور قدراته، والدعوة إلى استقلال الطفل في تفكيره وتصرفاته، وهنا لابد من التنبيه على أن الزواج يتطلب التزام الطرفين مع توفر القدرة والكفاءة والأهلية.

4. البطالة والفقر الفاقة: نظرا لتضخم متطلبات العيش كثيراً ما تدفع المرأة للخروج إلى سوق العمل تاركة وراءها فراغا تربوياً لا يمكن معرفة كنهها، سيكون له ما بعده من آثار على تربية الأبناء.

ثانياً: التحديات الاتصالية والتواصلية: تعتبر وسائل الإعلام المختلفة من الوسائط الأكثر تأثيراً على الأسرة في المحيطين التربوي والتعليمي، حيث تستهدف هذه التقنيات الإعلامية الأسرة في عقر دارها للسيطرة على القيم السلوكية والأخلاقية وفي هذا تستعمل الإعلانات والدعاية والشائعات والوسائط الأخرى في هدم كيان الأسرة من بث الكراهية ونشر ثقافة العنف الجسدي عبر المسلسلات والأفلام والحوارات وغيرها. فالفضاء المعلوماتي والعالم الافتراضي لها تأثيرات جمّة في حياة الطفل، مثل الانغلاق والشعور بالانعزالية، وفي خضم هذه التحديات فإن المجتمع المسلم اليوم بحاجة إلى النساء الصالحات اللاتي يحملن الأخلاق الكريمة والفاضلة.

ثالثاً: التحديات التربوية: تهدف التحديات التربوية إلى تدمير القيم الأخلاقية والسلوكية للمجتمعات المسلمة؛ ولا يخفى على أحد أن المشكلات الاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي تؤثر سلباً على تربية الأبناء، ومن هنا تواجه المرأة المسلمة معظم التحديات التربوية التي يتعرض لها المجتمع مهما كانت الفئة التي توجه إليها هذه التحديات، علماً أن من أهم التحديات التربوية التي تواجهها المرأة في وقتنا الحاضر كثيراً ما تتعلق بالحجاب والاحتشام في مواجهة التعري والتبرج والدعوة إلى تحريرها والانسلاخ عن مبادئها وقيمها، والتحريض على التمرد على العقيدة الإسلامية (أمين، بدون تاريخ:22). أما التحدي الداخلي، هي تحدي الفضائيات وما تبثها من وسائل الاغراء والازياء الفاضحة، وما تتعرض له من أفكار وشبهات وبرامج تساعد في عدم الاعتراف بالهوية الإسلامية، كل هذه التحديات تدفعها إلى التحلي عن تعاليم الإسلام.

رابعاً: تحديات القصور في تحمل المسؤولية التربوية: وهي من أخطر التحديات التي تواجه البنية الأسرية اليوم، فالقصور إما أن يكون عن جهل، أو أن يكون إهمالاً أو متعمداً. لذا فإن من المخاطر الأساسية التي تهدد الأسرة هي عدم القيام بالمسؤولية التربوية للأبناء من قبل الوالدين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن المسؤولية التربوية للأسرة مرتبطة بتوجيه الأبناء نحو البر بالوالدين كما جاء في قوله تعالى: ﴿رُوِّضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا

يُبْلَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الإسراء: 23-24). وقد جاءت المسؤولية التربوية في الهدى النبوي الشريف لقوله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" [متفق عليه]. لذا فإن اهتمام الوالدين بمسؤوليتيهما التربوية يعود على الأمة بالخير الكثير، بالمقابل إن قصرًا في واجبهما ورعايتهما، ويكون قد خانا الأمانة الموكلة إليهما. فالطفل يولد على الفطرة الطبيعية التي فطرها الله على عباده، صافي السريرة، سليم القلب، فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه ولتحقيق مجتمع خالٍ من ويلات الانحراف علينا تربية أبنائنا على هدى من التقوى. وعلى الأبوين أن يتحملا مسؤوليتهما عن أهل بيتهما، لتحقيق مقاصد التربية الرشيدة، والابتعاد عن مواطن الريبة والشك، وعليهما أن يوفرا لأطفالهما كل وسائل المسؤولية الاجتماعية من الرعاية السليمة وغيرها. وعلى ذات النسق، يمثل الفارق التعليمي التحدي الأكبر في حياة الأطفال باعتباره الركيزة الأساسية التي تحتاجها الأسرة المعاصرة لصنع شخصية متعلمة وواعية تُسهم في تنمية المجتمع، هذا إلى جانب تحدي قدرة الأسرة المعاصرة على تطبيع منظومة من الأفكار والقيم والثقافات بين أفرادها بمختلف مستوياتهم، كالتسامح والانفتاح والقبول بالآخر، والعيش المشترك، وتغليب الوطن على كل المصالح الفئوية والطائفية وغيرها.

خامساً: تحديات الهوية الثقافية: تُشكل الوعي الجمعي والثقافي لكل أفراد ومكونات الأسرة الغاية المنشودة لوجودها، والتي تُوجّه من خلال الطموحات والنزعات والرغبات، وهنا تكمن الخطورة إذ تباين وتصادم الهوية الثقافية عن تلك المفاهيم السلوكية. فالهوية الجامعة هي التي تقوم على المواطنة والشراكة والحرية والاستقلالية والاندماج والتكامل، بعيداً عن الهويات الفردية والفئوية والطبقية. وللتخلص من تلك التحديات على الجميع تعزيز ثقافة الإبداع والإنجاز والإنتاج، وتهيئة البيئة المجتمعية في مواجهة تحديات التربية الرشيدة، والقدرة على تحمل متطلبات الحياة المعاصرة ومواجهة الشبهات حول المرأة المسلمة.

خامساً: التخلص من تحديات مواجهة خطاب الكراهية والتطرف: لا شك أن الأسرة اليوم تتعرض لكثير من التحديات الأمر الذي نتج عن ذلك أشكالاً متعددة من التطرف والانحراف السلوكي والنفسي والفكري، فالأطفال الذين حرموا من حنان الوالدين هم أكثر عرضة تلك التحديات حيث أصبحوا بعيدين عن المنطق الأخلاقي الصحيح، بل تعمقوا في الشعور بالأنانية وحب الذات، وتبني فيهم المفاهيم المنحرفة حول قضايا الإسلام المتعددة، كذلك ما فتأوا يمارسون كل

صنوف الانحراف والتطرف نتيجة شعورهم بالتهميش والانفصال عن أواصر المجتمع وقيمه. وعلى الرغم من تنامي دور المؤسسات الإعلامية والتعليمية في مجتمعاتنا المعاصرة في المحافظة على مكانة الأسرة؛ إلا أنها بقيت المرأة الأكثر تأثراً فكرياً وأخلاقاً وممارسة. وعلى هذا النحو يرتبط مفهوم التطرف بالغلو وتجاوز الطريقة السوية في التربية لدى الأطفال، ولا يقتصر مفهوم التطرف على الدعوة إلى العنف والكرهية والتكفير والتجيش الطائفي، وإنما يتجاوز ذلك إلى الدعوة للفرقة والتمييز والإقصاء، سواء كان على أساس ديني، أو جهوي أم قبلي، فهي دعوة من شأنها تُعمق النزعة العنصرية تجاه الآخر، كل هذه التحديات من شأنها تعمل على ضرب النسيج الاجتماعي، وإعاقة بناء علاقات متكافئة بين أفراد المجتمع. فإذا أراد كل فرد في المجتمع أن يتخلص من تلك التحديات عليه أن يدرك التربية السوية هي المخرج في التنشئة الاجتماعية، كما يجب على ولاية الأمور أن يتمسكوا بتعاليم ديننا الحنيف في سبل كسب العيش، والمحافظة على الحقوق والواجبات، هذا بالإضافة إلى الاستغلال الأمثل لجميع الوسائط الإعلامية بصورة يحقق بناء الأسرة وليست انهيارها، مع ضرورة مراجعة المادة الإعلامية التي تبث وتشاهد.

الخاتمة:

أكدت الدراسة أن الأسرة هي النواة الحقيقية التي تساعد في التنشئة الاجتماعية، فالمسؤولية التربوية تتعرض اليوم إلى كثير من التحديات والتهديدات على المستوى الداخلي أو الخارجي في ظل غفلة الدعاة والتربويين والحكام بخطورة هذا الموقف المريب والمسيء للأمة المسلمة، لأن كل التحديات القصد منها اندثار الهوية الثقافية الإسلامية، وقد يلعب الإعلام الدور الكبير في هدم الأواصر الأسرية وفق مخططات غريبة.

أهم التوصيات

1. على الحكام والمسؤولين الاهتمام بالأسرة والدفاع عنها.
2. ضرورة إعادة صياغة المناهج التعليمية والتربوية التي تدعو إلى المحافظة على مكانة الأسرة.
3. من الأهمية بمكان مراجعة وجود المنظمات والهيئات الكنسية التي تدعو إلى تحرير المرأة من التعاليم الإسلامية.



4. صيانة مكانة المرأة في الإعلام الجديد، وجميع وسائل التواصل الاجتماعي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن فارس، أحمد (2001م). معجم مقاييس اللغة. طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله (1395هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط1.

ابن منظور، محمد (1303 هـ)، لسان العرب، دار الجيل، بيروت، ط1.

أبو داؤود، سليمان بن الأشعث (1388هـ)، سنن أبي داؤود، دار الحديث، حمص، ط1.

أبي عبد الله، محمد بن ماجه (1372هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1.

أمين، قاسم (بدون تاريخ)، المرأة الجديدة، دار الأندلس، القاهرة، ط1.



- البخاري، محمد بن إسماعيل(1987م)، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت، ط3: كتاب المناقب، باب علامات النبوة 5ج.
- الترمذي، محمد بن عيسى(ب ت)، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: في المناقب الباب التاسع، 3ج.
- الخشاب، سامية(1981م)، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2.
- الزيدي، محمد مرتضى(ب ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهدية، بيروت، ط2.
- السمادوني، السيد(1990م)، إدراك المتفوقين عقلياً، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، ج2 ط1.
- سميرة(2017م)، إسهام الأسرة التربوي في تفوق الأبناء دراسياً، الجزائر، جامعة محمد خضر بسكرة، صفحة 135. بالتصريف السنة النبوية الشريفة.
- صابر، أسماء(بدون تاريخ)، الأسرة ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل وانعكاسات ذلك على التفاعل الاجتماعي، القاهرة، ط1.
- الغزالي، محمد(1416هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار المعرفة، الجامعية، القاهرة، ط1.
- فيولا البيلاوي(1988م)، مقياس ضغوط الوالدية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري(1967م). الجامع لأحكام القرآن. دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1.
- نبيل حليلو(2013م)، الأسرة وعوامل نجاحها، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط1.
- النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج(1400هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض، ط2.